

مجلة علمية عالمية فصلية متخصصة ومحكمة
تصدر بدعم من صندوق دعم البحث العلمي
والجامعة الأردنية

عمـــان - الأردن
١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م

رقم التصنيف : 1996-9546

تاريخ منطقة الجفر منذ أقدم العصور وحتى بداية تأسيس مشروع توطين البدو حوالي ٥٠٠,٠٠٠ ق. م – ١٩٦٢م

أنور دبشي الجازي ، محمد إسماعيل النصرات**

ملخص

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على تاريخ منطقة الجفر في جنوبي الأردن، بدءًا من العصور الحجرية مرورًا بالحِقب النبطية والرومانية والإسلامية الوسيطة، والحديثة والمعاصرة التي تتضمن سنوات الثورة العربية الكبرى، وانتهاءً ببداية تأسيس المشروع الزراعي في الجفر، الذي عمل على استقرار العشائر البدوية في المنطقة. وتتناول الدراسة أيضًا نتائج تقارير المسوحات والتنقيبات الأثرية في منطقة الجفر، إضافة إلى ما ذُكر في كتب الرحالة الغربيين، والوثائق البريطانية، ووثائق حكومة إمارة شرقي الأردن.

الكلمات الدالة: الجفر، العصور الحجرية، العشائر البدوية، إمارة شرقي الأردن.

المقدمة

تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على تاريخ منطقة الجفر في البادية الجنوبية الشرقية منذ أقدم العصور وحتى بداية تأسيس ما يعرف بمشاريع توطين (إسكان) البدو. وعليه، فقد تناولت تاريخ استقرار الإنسان في منطقة الجفر خلال العصور الحجرية، وذلك بسبب توافر بحيرة مياه عذبة في المنطقة نصب الإنسان القديم خيامه بالقرب منها، وعاش على صيد الحيوانات البرية التي كانت ترتادها. واستمر وجود الإنسان في الجفر خلال العصور اللاحقة، مثل: النبطية، والرومانية، وعرب ما قبل الإسلام مرورًا بالحقب الإسلامية وحتى العصر الحديث. وتوقفت الدراسة عند بداية إنشاء ما يعرف بمشاريع توطين البدو، حيث تناولت هذا الموضوع دراسة سابقة موسومة بـ (مشاريع توطين البدو في بادية معان ١٩٢٥-١٩٧٥م)، ومن ضمنها مشروع الجفر.

أما هذه الدراسة فقد تناولت الأسباب التي أدت إلى إقامة هذه المشاريع، والعوامل التي دفعت العشائر البدوية في منطقة الجفر إلى الاستقرار، وكان من بينها توقف عمليات الغزو التي كانت تشنها العشائر البدوية في بداية العقد الثالث من القرن الماضي، مما دفعها إلى الاستقرار النسبي حول مصادر المياه، ثم الاستقرار الدائم، وما شهدته المنطقة من ظروف اقتصادية ومعيشية صعبة، وتوالي سنوات الجفاف في أربعينيات، وخمسينيات القرن الماضي، هذه العوامل وغيرها دفعت الحكومة إلى التفكير في إنشاء مشاريع زراعية وإسكان لتشجيع العشائر على الاستقرار.

---

* جامعة الحسين بن طلال، معان، المملكة الاردنية الهاشمية. تاريخ استلام البحث ٢٠١٧/٣/٥م، وتاريخ قبوله للنشر ٢٠١٧/١١/٢٣م.

الموقع والجغرافيا

تقع الجفر[(١)] إلى الشمال الشرقي من مدينة معان على مسافة ٦٠ كلم[(٢)] (الخريطة: ١)، وعلى مسافة ٥٠ كلم إلى الشرق من طريق الحج الشامي القديم ومحطة سكة الحديد الحجازية (عنيزة)، والطريق الدولي الذي يربط شماليّ الأردن بجنوبه[(٣)]. تمتد الحدود الجغرافية لمنطقة الجفر على مساحة واسعة تُعرف باسم منخفض الجفر، وهو منخفض شبه دائري يبلغ قطره نحو ١٠٠ كلم[(٤)]. يحده من الغرب سكة الحديد الحجازية، ومن الشرق يصل حتى حدود المملكة الأردنية الهاشمية مع المملكة العربية السعودية، ومن الشمال مرتفعات أم رجام، ومن الجنوب جبال شويحات ومنطقتا كبد وبطن الغول[(٥)].

يوجد في منتصف هذا المنخفض قاع الجفر، وتبلغ مساحته الإجمالية ٢٤٠كلم٢[(٦)]، على ارتفاع يبلغ ٨٥٠م فوق مستوى سطح البحر، ويعد هذا الارتفاع قليلاً نسبيًا مقارنة مع المناطق المرتفعة الغربية (مرتفعات الشراة)[(٧)]، ولذلك فإن قاع الجفر يتلقى سنويًا منذ القدم مياه الأمطار التي تهطل على مرتفعات الشراة[(٨)]، التي تجري عبر شبكة من الأودية الطويلة التي تتجه نحو الشرق حيث قاع الجفر، ومن هذه الأودية التي تُعدُّ الرافد الرئيس للقاع: الدعجانية، وأبوصفاه، والعويند من الغرب[(٩)]، وأبوالجرذان وعقيّقة من الجنوب الغربي[(١٠)]، والأودية من الجهة الجنوبية والشرقية والشمالية، مثل: وادي أبوعمود، وأبوطرفاه، والشومري، والعيرية، وحدرج[(١١)] (الخريطة:١)، وشكلت هذه الأودية-إضافة إلى دورها في

---

(١) الجفر: هي البئر الواسعة التي لم تطوَ، أو هي التي طوي بعضها ولم يطو بعضها الآخر، والجمع جفار، والجُفرة: سعة في الأرض مستديرة، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: جفر، وكانت منطقة الجفر في الحِقبة الأيوبية (كما سنرى لاحقًا) تُسمى (جفار). شيخ الربوة، شمس الدين محمد، (ت ٧٢٧هـ)، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، الأكاديمية الإمبراطورية، بطرس بورغ، ١٨٦٥م، ص٢١٣.

(٢) حسن عبد القادر، نقولا قسطندي، عادل غوشة، محمد السرياني، **أسماء المواقع الجغرافية في الأردن وفلسطين**، منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، عمان، ١٩٧٣م، ص٥٤.

(3) William Honson, Loana Oltean, *Archaeology from Historical Aerial and Satellite Archives*, Springer Science & Business Media, London, 2013, p. 236.

(4) Naval Intelligence Division of the Admiralty, *The Middle East Intelligence Handbooks, 1943-1946, Palstine and Transjordan,* Gerrard's Cross, Buckingham Shire, 1987, p. 420.

(٥) وزارة الزراعة، **المشروع الوطني لخارطة التربة واستعمالات الأراضي**، عمان، ١٩٩٣م، ص٧٠.

(٦) زيدان كفافي، **الأردن في العصور الحجرية**، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، ١٩٩٢م، ص٦٣.

(7) Khaled Moumani, *The Geology of The Aljafer Area,* Geology Directorate, Amman, 2006, p.1.

(8) Max Von Oppenheim, *Die Beduinen,* Band: II, Otto Harrasson Wizz, Leipzig, 1943, p.170.

(9) Willimatt, G, Birch, P, Mckee, F, Atkinson, K, Nimry, S, *Conservation Survey of the Southern High Land's of Jordan,* The Department of Research, Ministry of Agriculture, Amman, 1963, p.19.

(10) Royal Jordanian Geographic Centre, *Space Atlas of Jordan,* First Edition, Revised and Printed by Royal Jordanian Geographic Centre, Amman, 2000, p.23.

(11) AloisMusil, *Arabia Petraea,* II Edom, 1.Teil, k,u,k, hof-und Universitats –Buchhandler ,

نقل مياه الأمطار إلى قاع الجفر- مناطق استقرار للإنسان منذ العصور الحجرية؛ حيث اكتشف الباحثون بعض المخلفات الأثرية التي صنعها الإنسان القديم من أدوات صوانية وفخارية تدل على استيطانه للمنطقة(١٢)، واستمر هذا الاستقرار حتى العصر الحديث؛ حيث تتخذ القبائل البدوية هذه الأودية منازل لها في فصل الشتاء خاصّة؛ نظرًا إلى ما تمتاز به من الدفء النسبي، توافر مياه الأمطار في البرك على جوانبها(١٣).

تشكلت بحيرة الجفر خلال العصر الجيولوجي الرابع (بلاستوسين) (Pleistocene) (من ١،٧ مليون - ١٠٠ ألف سنة ق. م) بسبب الأمطار السنوية التي تنقلها الأودية من مختلف الجهات التي تصب في قاع الجفر، وقد قدّر العلماء مساحتها بنحو ١٨٠٠كلم٢(١٤)، إضافة إلى اكتشاف الباحثين وجود عيون مياه كانت تنبع من أعماق قريبة من سطح الأرض أسهمت أيضًا في رفد بحيرة الجفر بالمياه(١٥)، وقد شجعت المياه العذبة إنسان تلك الحقبة التاريخية على الاستقرار والاستيطان على جوانب هذه البحيرة(١٦)، ومارس الإنسان نشاطاته اليومية من تخييم وصيد الحيوانات التي كانت ترتادها، والتقاط وجمع الرخويات والحيوانات المائية الأخرى التي شكلت بالنسبة إلى هذا الإنسان مصدرًا غذائيًا رئيسًا(١٧)، وأظهرت الدراسات أيضًا أن بحيرة الجفر تُعد من أكبر البحيرات في منطقة غربي أسيا، وكانت تحيط بها حشائش السافانا والغابات التي جذبت الحيوانات والثدييات التي تغذى الإنسان على لحوم طرائدها(١٨).

وتكثر في المنطقة القيعان المشابهة لقاع الجفر، التي شكّلت بحيرات صغيرة استقر حولها الإنسان في العصور القديمة، مثل قاع أبو طليحة الذي ينقسم قسمين: شرقي وغربي(١٩)، وكان الإنسان في

Wien , 1908, p. 20.

(12) Hamzeh Mahasneh, Hans Gebel, The Eastern Jafr Joint Archaeological Project: The 2001 and 2006 Surveys in Wadi As-Sahab Al-Abyad, *ADAJ* , Vol. 53, 2009, pp. 35-49.

(13) David Kennedy, *Archaeological Exploration on the Roman Frontier in North-East Jordan*, B.A.R, International Series, Oxford, 1982, p.19.

(14) Quintero, L, and, Philip, J, Archaeological Reconnaissance in the AL- Jafr Basin 1997, *ADAJ*, vol: XLII, 1998, PP. 113-122.

(15) Rech, J, Quintero, L, Wilke, P, Winer, E, The Lower Palaeolithic Landscape of Ayoun Qedim AL- Jafr Basin, Jordan, Geoarchaeology 22, 2007, pp. 261-275.

(١٦) كفافي، الأردن في العصور الحجرية، ص٦٣.

(17) Caroline Davies, Past Environments of the Jordan Plateau from The Palaeolakes of Eastern Desert, Crossing Jordan, North American Contributions to The Archaeology of Jordan, Edited by: Thomas, L, Michele, D, Pandall, Y, May, S, Equinox Publishing Ltd, London, 2007, pp. 79-86.

(18) Carlos Cordova, Millennial landscape Change in Jordan, The University of Arizona Press, Arizona, 2007, p.25.

(19) Fujii, Sumio, Qa Abu Tulayha, An Interim Report of the 1997 Season, **ADAJ**, Vol.42, 1998, pp: 123-140.

تلك العصور يصطاد الحيوانات التي تتجمع حول هذين القاعين ويتغذى عليها، وعُثر بالقرب منهما على صهاريج وسدود بسيطة لجمع مياه الأمطار[٢٠].

حوض الجفر خلال العصور الحجرية في ضوء الدراسات الميدانية والآثارية

دلت المسوحات والاكتشافات الأثرية التي أجراها الباحثون على أن الإنسان استقر حول بحيرة الجفر خلال الحقبة الأشولية (٣٠٠- ٥٠٠ ألف سنة)، ويتمثّل هذا الاستقرار في العثور على سبعة مواقع تعود لهذه الحقبة ، تحتوي على أدوات صوانية متنوعة استخدمها الإنسان في عملية صيد الحيوانات التي كانت ترتاد البحيرة، إضافة إلى أدوات تقطيع اللحم، وأغلب هذه اللّقى التي عُثر عليها تتمثل في المكاشط المسطحة والسواطير ذات الوجهين والفؤوس اليدوية[٢١]، واستمر استقرار الإنسان حول بحيرة الجفر خلال العصر الحجري القديم (Palaeolithic)، بجميع مراحله (السفلى، والمتوسطة، والعليا) في عدة مواقع في الجفر، مثل: ودعات الشهباء، وجبل العاذريات، وجبل كزيمة، وتتكون الأدوات التي جمعها الباحثون من هذه المواقع خلال هذا العصر من: الفؤوس اليدوية، والمفارم، والمكاشط، والشظايا، كما اكتشفت ثلاثة مواقع أخرى في الجفر تعود إلى العصر الحجري الوسيط (Epipaleolithic)[٢٢].

وعثر في منطقة الجفر على مواقع تعود إلى العصر الحجري الحديث (Neolithic)، منها: موقع وادي الغوير الذي احتوى على شواهد كثيرة صنعها الإنسان، مثل: الشفرات، الأزاميل، وحظيرة للحيوانات بُنيت على حافة الوادي[٢٣]. وعثر في مواقع جبل الخشابية، ووادي حدرج، ووادي سهب الأبيض شرقي الجفر على مصائد الحيوانات (Kites)، وأساس هذه المصائد صفوف من الحجارة تمتد لمسافات طويلة، وفي نهايتها غرفة للصيد؛ حيث يطارد الإنسان القديم الحيوانات ويجبرها على دخولها[٢٤].

وظهر في منطقة الجفر مع نهاية العصر الحجري الحديث نمط جديد من حياة الإنسان اليومية يتمثل في انتقاله إلى نمط (البداوة)، التي تعني تحوله من مرحلة الصيد التي شكلت العنصر الرئيس لحياته واقتصاده في العصور السابقة، إلى مرحلة تربية المواشي والانتقال من مكان لآخر بحثاً عن الكلأ، ويبدو أن الأسباب التي أدت إلى حدوث هذا التحول في النمط المعيشي للإنسان تمثلت في

(20) B,Finlayson, J,Lovell, S,Smith, S,Mithen, The Archaeology of Water Management in the Jordan Valley from the Epipalaeoleolithic to the Nabataean (19,000 BC) to AD106, **Water, Life and Civilization, Climate, Environment and Society in the Jordan Valley**, Edited by M,Steven, and E,Black, Cambridge University Press, Cambridge, 2011, pp: 191-217

(21) Mayson AL- Nanar, Geoffrey Clark, The Lower Paleolithic in Jordan, *Jordan Journal for History and Archaeology,* Vol. 3, NO: 2, 2009, PP. 173-215.

(22) Quintero and Philip, Archaeological Reconnaissance in the AL- Jafr Basin, p.120.

(23) Ibid, p. 121.

(24) Abu- Azizeh, w, Tarawneh, M, Out of the Harra: Desert Kites in South- Eastern Jordan, New Result from The South- Eastern Badia archaeological project, *Arabian Archaeology and Epigraphy,* Vol. 26, 2015, pp. 95-119.

حدوث تغيّر مناخي في منطقة الجفر أسهم في قلة أو تراجع الطرائد والحيوانات البرية التي كان الإنسان يتغذى عليها في السابق(٢٥).

وقد أثبتت دراسات المواقع الأثرية في منطقة الجفر، التي تعود إلى نهاية العصر الحجري الحديث وبداية العصر الحجري النحاسي، أن المجموعات البشرية مارست عادة التنقل والترحال (البداوة) أو الإقامة المؤقتة في أكثر من منطقة، فخلال فصل الصيف كان الإنسان في ذلك العصر يقيم في المناطق الأكثر ارتفاعًا بالقرب من الجفر، وجبال العاذريات التي يصل ارتفاعها إلى أكثر من ١٠٠٠م عن سطح البحر، ومع حلول فصل الشتاء كان ينتقل إلى الأودية التي تقع إلى الشرق من الجفر، وهي الأكثر دفئًا والأقل ارتفاعًا عن سطح البحر، مثل وادي حدرج ووادي السرحان؛ حيث يبلغ ارتفاع هذه المناطق عن سطح البحر نحو ٤٥٠م، إضافة إلى أن هذه الأودية تمتاز بالاتساع والامتداد لمسافات طويلة، يتوافر فيها ما يحتاج إليه الإنسان من ماء وكلأ لرعي الماشية التي بدأ بتربيتها، وقد أسهمت هذه العوامل في تأقلم الإنسان مع نمط الترحال(٢٦).

واستمر وجود المجموعات البشرية في مناطق الجفر خلال العصر الحجري النحاسي، وكانت تمارس البداوة على نحو رئيس، وربما رافق ذلك بعض عمليات الصيد كما أثبتت ذلك الأدلة الأثرية التي عُثر عليها في المواقع المكتشفة غربي الجفر، وأظهرت الدراسات أن هذه المجموعات البشرية بدأت باختيار مواقع التخييم بعناية وحسب فصول السنة، ففي فصل الصيف كانت تسكن في الجهة الغربية من الحواف الصخرية، وفوق الهضاب العالية على نحو مواجه للرياح من أجل الإفادة من نسماتها لتخفيف حرارة الصحراء، أما في فصل الشتاء فقد كانت المجموعات البدوية نفسها تتجه نحو المناطق الشرقية الدافئة وتختار مواقع تخييم منخفضة قليلاً ومحمية من الرياح الغربية القوية التي تهب في ذلك الفصل، وغالبًا ما تكون هذه المواقع في الجهة الشرقية من حواف الأودية والهضاب والجبال، وهذا النمط مشابه تمامًا لممارسات البدو حديثًا؛ حيث تُختار مواقع مكشوفة ومواجهه للرياح الغربية والشمالية صيفًا، ومواقع محمية من الرياح الشديدة والباردة شتاءً(٢٧).

وخلال الاستقرار المؤقت لإنسان العصر الحجري النحاسي في منطقة الجفر، عُثرعلى مساكن تسمى (الدوائر الحجرية) تعود إلى هذا العصر، وتتكون من صف من الحجارة بُنيت بشكل دائري أو شبه دائري، وفي بعض الأحيان قُسمت هذه الدوائر الكبيرة من الداخل عدة أقسام من أجل استخدامها لأغراض متعددة، مثل: غرفة معيشة، وزريبة أو حظيرة للمواشي، وتتألف الدوائر الحجرية من جدار يبلغ ارتفاعه ما بين ٢٠– ٨٠ سنتمترًا في بعض المواقع المكتشفة، ويبدو أن الإنسان الذي اتخذ من

---

(٢٥) محمد الطراونة، البدايات الأولى للبداوة في جنوب شرقي الأردن، **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**، مجلد: ٦، عدد: ٢، ٢٠١٢م، ص١٨٧-٢١٣.

(26) Tarawneh, M, Abu-Danah, F, Substance of Early Pastoral Nomadism in the Southern Levant: New Data From Eastern Bayir, *Syria,* Vol. 90, 2013, pp. 231-252.

(٢٧) الطراونة، البدايات الأولى، ص١٩٧.

هذه الدوائر مساكن له كان يضع فوق صف الحجارة الخاصة بغرفة المعيشة ما يشبه الخيمة، كما عُثر في بعض مواقع منطقة الجفر على دوائر أكبر ربما استخدمت زرائب للمواشي، وفي بعض الأحيان قسمت من أحد الجوانب بجدران داخلية واقتُطع جزء منها لاستخدامه بيتًا للرعاة، ويدل على ذلك وجود مواقد النار في هذا الجزء المقتطع(٢٨).

وتُظهر الدراسات أن منطقة الجفر اكتسبت أهمية خاصة خلال العصر الحجري النحاسي المتأخر، والعصر البرونزي المبكر؛ حيث عُثر على مناجم ومصانع لتصنيع الأدوات الصوانية تحتوي على آلاف القطع من المواد الخام التي كان الإنسان يصنّع منها أدواته المستخدمة في حياته اليومية، مثل: المكاشط الناعمة والحادة، والمكاشط المسطحة، والسكاكين، والشفرات، والرقائق، وقد سجّل الباحثون ٧٩ موقعًا من هذا النوع، ونستدل من كثرة عدد هذه المصانع على أهمية منطقة الجفر لإنتاج الأدوات الصوانية وتصنيعها، ويعتقد الباحثون أن الجفر ربما كانت تصدّر هذه الأدوات إلى المناطق الأخرى التي تتوافر فيها خلال هذين العصرين(٢٩)، كما يبدو أن الإنسان الذي عاش في منطقة الجفر، وخاصة في الأودية الشرقية، قد اعتمد في نظام الحصاد المائي على الحُفر أو (المشاش)، وهي البرك التي كان الإنسان يحفرها في عمق الأودية للحصول على المياه العذبة التي تتجمع تحت طبقات الحصى القريبة من سطح الأرض، ومن الأمثلة على هذه الأودية، وادي مشاش حدرج شرقي الجفر(٣٠).

لقد كانت منطقة الجفر وبسبب ما تتمتع به من ميزات أهمها توفر المياه العذبة المتمثلة في البحيرة، والأودية الكبيرة وتوافر المراعي الطبيعية، وبسبب توافر الحجارة الصوانية التي كان الإنسان القديم يصنع منها أدواته، كل هذه العوامل شجّعت هذا الإنسان على الاستقرار في الجفر منذ العصور الحجرية وحتى العصور البرونزية، أما خلال العصور الحديدية فلم يتمكن الباحثون حتى الآن من العثور على دلائل تشير إلى استيطان الإنسان في منطقة الجفر، ويبدو أن تفسير هذا الموضوع يتمثل في أن المجموعات البشرية التي تقطن في المناطق الصحراوية الشرقية اتجهت في هذا العصر نحو المرتفعات الغربية؛ حيث يظهر أن المناطق الشرقية ربما حدث فيها تغيّر مناخي أجبر الإنسان على الهجرة نحو الغرب حيث تتوافر عيون المياه والمراعي الخصبة.

حوض الجفر خلال الحقب النبطية والرومانية- البيزنطية وعرب ما قبل الإسلام.

اكتسبت الجفر أهمية خاصة خلال الحقبة النبطية (١٠٠ق.م- ١٠٠م) لوقوعها على طريق القوافل التجارية النبطية التي كانت تنطلق من البترا عبر معان باتجاه مناطق شمالي الجزيرة العربية، وتُعد إحدى الطرق التجارية المهمة التي كانت تستخدمها القوافل النبطية لنقل البضائع التجارية عبر الصحراء(٣١)،

(٢٨) المرجع نفسه، ص ٢٠٠-٢٠١.

(29) Quintero, L, Philip, W, Rollefson, G, From Flint Mine to Fan Scraper: The Late Prehistoric Jafr Industrial Complex, *BASOR,* 327, 2002, PP. 17-48.

(30) Tarawneh, M, AL-Salameen, Z, Abudanah, F, Resuls of A Pilot Survey Study in the Region of Mushash Hudruj South Eastern Jordan, *Mediterranean Archaeology and Archaeometry,* Vol.12, No.2, pp. 133-143.

(٣١) Christina Grant, The Syrian Desert, Caravans Travel and Exploration, The Macmillan

وخلال الحقبتين الرومانية والبيزنطية وحتى بداية القرن السابع الميلادي(٣٢)، نشطت طرق التجارة الداخلية عبر الصحراء، وكانت الجفر محطة مهمة للقوافل، حيث كانت محطة تجارية للعديد من الطرق القادمة من اتجاهات مختلفة، منها: الطريق التجاري القادم من جنوبي الجزيرة العربية عبر تبوك، وتيماء، والمتجه شمالاً مرورًا بالجفر إلى معان، والطريق القادم من وادي السرحان إلى باير والجفر، ثم يتجه نحو الجنوبي الغربي إلى معان، وأذرح وينتهي في البترا (٣٣)، والطريق التجاري الذي يعتقد بعض الباحثين أنه كان طريقًا معبدًا(٣٤)، وخط سيره من البترا إلى معان ثم إلى الجفر، باير، الأزرق، قصر برقع، وينتهي في تدمر(٣٥)، إضافة إلى الطريق المهم الآخر الذي يمر بالجفر، وهو الطريق القادم من ميناء أيله (العقبة) على البحر الأحمر؛ حيث كانت تنطلق القوافل التجارية محملة بالبضائع من هذا الميناء وتتجه نحو الشمال الشرقي لتعبر المناطق التي تحتوي على مصادر المياه، مثل: القويرة، ورأس النقب، وعند وصولها إلى معان تتم عملية التبادل التجاري مع القوافل الأخرى القادمة من مناطق مختلفة، وبعد ذلك تكمل هذه القوافل طريقها باتجاه الجفر، وباير، والأزرق، وأم الجمال، إلى سوريا والعراق(٣٦).

ويبدو أن كلاً من الأنباط والرومان، أفادوا من توافر المياه العذبة في آبار الجفر لخدمة القوافل التجارية، ويظهر ذلك من خلال مرورهم في هذه المنطقة التي كانت محطة مهمة تلتقي فيها القوافل التجارية، إضافة إلى كونها تقع على مفترق طرق القوافل، أما المناطق الأخرى التي تقع إلى الشرق والشمال الشرقي من الجفر وتخلو من آبار المياه، فقد بنى الأنباط والرومان فيها العديد من البرك والصهاريج لتوفير المياه للقوافل في رحلتها الطويلة(٣٧).

وشهدت منطقة الجفر خلال الحقبة الممتدة ما بين القرنين الأول والرابع الميلاديين استقرارًا للقبائل العربية الثمودية، التي ربما تكون حلت محل الأنباط في قيادة القوافل التجارية، ومارست النشاط التجاري بين الجزيرة العربية والشام ومصر، وقد دلّت النقوش المكتوبة بالخط الثمودي والمكتشفة في منطقة الجفر وأوديتها، إضافة إلى الرجوم والبرك وحظائر الأغنام على هذا الاستقرار والنشاط التجاري الذي كانت تمارسه القبائل الثمودية في تلك الحقبة(٣٨).

واستغلت القبائل الثمودية توافر المراعي في الأودية المحيطة بالجفر لممارسة حرفة الرعي والاستقرار

Company, New York, 1938, p. 35.

(32) Pamela Watson, The Byzantine Period, The Archaeology of Jordan, Executive Editors Russell Adams and Yuval Coren, Sheffield Academic Press, Sheffield, 2001, pp. 465-510.

(٣٣) محمد النصرات، معان في العصر البيزنطي في ضوء الشواهد التاريخية والأثرية، **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**، مجلد: ٦، عدد: ٤، ٢٠١٢، ص ١-٣٥.

(34) Frederick Peake, A History of Transjordan and it's Tribes, Vol: 1, Amman, 1934, p. 82.

(35) Alois Musil, Arabia Deserta, A Topographical Itinerary, Published by American Geographical Society, New York, 1927, p. 515.

(٣٦) محمد النصرات، باسم الطويسي، تاريخ منطقة باير في جنوب الأردن منذ أقدم العصور وحتى فترة الانتداب البريطاني، **مجلة الجمعية التاريخية السعودية**، عدد: ٢٢، صفر ١٤٣٢هـ/ يناير ٢٠١١، ص٥٦-١٠٢.

(٣٧) محمود العابدي، **من تاريخنا**، (المجموعة الرابعة)، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٧٨م، ص١٧٣-١٧٤.

(٣٨) سلطان المعاني، **كتابات عربية قديمة من بادية معان**، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١١م، ص١٧-١٩.

المؤقت في هذه الأودية، التي منها: وادي الغرة الشرقي، ووادي الغرة الغربي، وحدرج، وبيار بني مرة، وأم ضواين، والحصاة، ووادي الخشابية، وتنتشر النقوش الثمودية في هذه الأودية، إضافة إلى برك المياه التي حفرها الثموديون على جوانب الأودية[٣٩]، ويرتبط بأماكن الاستقرار المؤقت رجوم حجرية تقع في الأماكن المطلة على الأودية، وقد عثر في هذه الرجوم على عدد من النقوش المكتوبة بالخط الثمودي، ويبدو أنها بُنيت خلال زمن ما قبل الإسلام، ولكنها بقيت مألوفة للقبائل أو السكان المحليين في العهد الإسلامي، وربما أُعيد استخدامها وخدمت الوظيفة التي أنشئت من أجلها سابقًا، وهي تسجيل الأدعية الخاصة بالموتى غالبًا[٤٠].

حوض الجفر خلال العهود الإسلامية

يبدو أن القبائل البدوية استمرت في الاستقرار والاستيطان في منطقة الجفر خلال العهود الإسلامية المبكرة؛ حيث عثر الباحثون بالقرب من الأماكن التي استقرت بها القبائل الثمودية على نقوش أموية كُتبت بالخط الكوفي، إضافة إلى الكشف عن أساسات لمسجد صغير[٤١]، كما كشفت المسوحات الأثرية في منطقة الجفر عن نقوش إسلامية أخرى تعود إلى العهد العباسي الأول، فقد عثر على عدة نقوش مكتوبة بالخط الكوفي، وأحدها مؤرخ لعام ١٧٠هـ/٧٨٧م، ونقوش أخرى تعود إلى المدّة ما بين النصف الثاني من القرن الثاني الهجري والنصف الأول من القرن الثالث الهجري[٤٢]، والنقوش المكتشفة وتخطيط مسجد في وادي حدرج شرقي الجفر، التي يرجع تاريخها إلى ما بين القرنين الثاني والثالث الهجريين[٤٣]، الإضافة إلى العثور على نقوش عباسية في منطقة وادي الغرة (شرقي الجفر)، وكتابات عربية وإسلامية مبكرة نُقشت على حجارة الرجوم[٤٤].

وخلال الحقبتين الأيوبية والصليبية[٤٥]، نقل الأيوبيون طريق الحج الشامي مؤقتًا نحو الشرق؛ حيث كانت القوافل تنطلق من دمشق ثم تتجه نحو الجنوب الشرقي إلى الأزرق، مرورًا بالجفر، وبعد ذلك تتجه نحو معان[٤٦]؛ وذلك بسبب وقوع منطقة الجفر ناحية الشرق في عمق الصحراء، بعيدًا عن القلاع

---

(٣٩) سلطان المعاني، جمعة كريم، دراسة نقوش عربية شمالية قديمة من وادي الخشابية في البادية الأردنية الجنوبية- الشرقية (منطقة الجفر)، **مؤته للبحوث والدراسات**، مجلد: ١٥، عدد: ٥، ٢٠٠٠م، ص٢١٩-٢٦٥.

(٤٠) جمعة كريم، سلطان المعاني، نتائج المسح الأثري لنقوش منطقة سمرة أبو طريفيات في البادية الجنوبية الشرقية -قضاء الجفر-، **دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية**، الجامعة الأردنية، مجلد: ٢٨، عدد: ١٢، ٢٠٠١م، ص٤١٤- ٤٤٥.

(٤١) جمعة كريم، نقش كوفي يعود للعصر الأموي من جنوب شرق الغرة – قضاء الجفر-، **دراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية**، الجامعة الأردنية، مجلد: ٢٨، عدد: ٢، ٢٠٠١م، ص٣٩١-٤١٣.

(٤٢) جمعة كريم، سلطان المعاني، نتائج المسح الأثري لنقوش منطقة سمرة أبو طريفيات في البادية الجنوبية الشرقية -قضاء الجفر-، **دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية**، الجامعة الأردنية، مجلد: ٢٨، عدد: ١٢، ٢٠٠١م، ص٤١٤- ٤٤٥.

(٤٣) جمعة كريم، سلطان المعاني، كتابات إسلامية من وادي حدرج – قضاء الجفر-، **مؤته للبحوث والدراسات**، مجلد: ١٥، عدد: ٥، ٢٠٠٠م، ص١٦٧- ٢٠٧.

(٤٤) جمعة كريم، سلطان المعاني، نقشان عبّاسيان من وادي الغرة شرقي الجفر، **مؤته للبحوث والدراسات**، مجلد: ١٤، عدد: ٤، ١٩٩٩م، ص٩٣- ١٢٢.

(٤٥) يوسف غوانمة، **إمارة الكرك الأيوبية**، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١١م، ص٣٤١.

(٤٦) صالح درادكة، **طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية**، اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، عمان، ٢٠٠٧م، ص١٦٢.

العسكرية التي بناها الصليبيون على طول طريق الحج الشامي المعروف، الذي يمر بالقرب من هذه القلاع، وقد اعتاد الصليبيون على مهاجمة قوافل الحج الشامي انطلاقاً من هذه القلاع(٤٧).

وهناك أهمية أخرى لمنطقة الجفر خلال الحقبة الأيوبية، تتمثل في أنها كانت محطة على طريق أمراء السلطان صلاح الدين الأيوبي وقادة جيشه، الذين كانوا ينتقلون بين الشام ومصر عبر الطريق التي تمر بالجفر، بعيدا عن تحركات الصليبيين الذين كانوا يسيطرون على المرتفعات الغربية والطرق التي تمر بالقرب منها، ومن ضمن القادة الذين سلكوا الطريق الشرقي عبر الجفر الأمير طوران شاه، الذي وجهه السلطان صلاح الدين بالسير نحو مصر؛ حيث انطلق الأمير طوران شاه من مرج الصفر في الشام مرورًا ببصرى الشام، ومنها إلى الأزرق، ثم الجفر، ثم أيله وصولاً إلى مصر(٤٨).

ويظهر من الناحية الإدارية أن منطقة الجفر خلال العهد الأيوبي كانت تتبع لجند الكرك؛ حيث ورد اسم منطقة (الجفار)، إضافة إلى مناطق الأزرق، واللجون، والحسا، وذُكرت على أنها تتبع جميعها لجند الكرك(٤٩)، ومنطقة الجفار ربما تكون هي الجفر (منطقة الدراسة)؛ وذلك لقربها من المناطق التي عددها (شيخ الربوة)، وهي أقرب لمركز الجند (الكرك) من منطقة الأزرق التي تقع إلى الشمال منها، ويُحتمل أن تكون الجفر هي الحد الجنوبي الشرقي لجند الكرك، مثلما يُحتمل أن تكون الأزرق هي الحد الشمالي الشرقي، كما أن الجفر كانت معروفة قبل تشكيل جند الكرك محطة مرت عليها جيوش صلاح الدين كما أُشير إلى ذلك قبل قليل.

كانت الجفر خلال العهد المملوكي محطة على الطريق البديل لقوافل الحج الشامي، كما أنها تقع ضمن الحدود الشرقية لنيابة الكرك المملوكية، وذلك خلال حكم دولة المماليك الثانية (١٢٥٠-١٥١٦م)(٥٠).

حوض الجفر خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين

يغيب ذكر منطقة الجفر في المصادر التاريخية خلال السنوات الأولى من حكم الدولة العثمانية وحتى بداية القرن التاسع عشر، والمعلومات المتوافرة عن الجفر في هذه الحقبة تتمثل في أن قبيلة الحويطات قد استقرت في المنطقة مع نهاية القرن الثامن عشر، وكانت قبيلة الحويطات خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر وحتى الربع الأخير من القرن الثامن عشر تنتشر خيامها في مناطق حسمى ورم(٥١)، ثم اتجهت من هذه المناطق إلى مرتفعات الشراة حيث تتوافر عيون المياه الغزيرة

---

(47) Frederick Peake, *A History of Transjordan and it's Tribes*, p. 162.

(٤٨) عماد الدين الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧هـ)، **البرق الشامي**، الجزء الثالث، تحقيق وتقديم فالح حسين ومصطفى الحياري، مؤسسة عبدالحميد شومان، عمان، ١٩٨٧م، ص ١٥٥.

(٤٩) شيخ الربوة، شمس الدين محمد، (ت ٧٢٧هـ) **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، الأكاديمية الإمبراطورية، بطرسبورغ، ١٨٦٥م، ص٢١٣.

(٥٠) شوكت حجة، **التاريخ السياسي لمنطقة شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الثانية**، مؤسسة حماة للدراسات الجامعية، اربد، ٢٠٠٢م، ص٣٣.

(51) Richard Burton, *The Land of Midian*, vol: 1, C. Kegan Paul & Co, London, pp. 163-164.

والمراعي الخصبة[٥٢] (الخريطة:٢).

ويبدو أن هناك جملة من الأسباب قد دفعت قبيلة الحويطات إلى الهجرة من مناطق حسمى ورم، منها: تكاثر عدد أفراد القبيلة، وشح مصادر المياه وقلة المراعي، مما حتم عليها البحث عن أراضٍ جديدة تتوافر فيها أسباب الحياة.

ونظرًا إلى أن مرتفعات الشراة تشهد خلال فصل الشتاء انخفاضًا في درجات الحرارة على نحو كبير وتساقط كثيف للثلوج، فقد دعا ذلك قبيلة الحويطات إلى البحث عن مناطق منخفضة تقضي فيها فصل الشتاء، وقد وجدت في منطقة الجفر مكانًا مناسبًا لهذه الغاية؛ إذ تتميز المنطقة إضافة إلى دفئها النسبي، بتوافر المراعي الشتوية ونمو الأعشاب الضرورية لرعي الإبل، فضلاً عن توافر بئرين قديمين لتجميع المياه العذبة التي تنبع من جوف الأرض[٥٣].

وترد الإشارة الأولى للجفر في كتب الرحالة الأجانب في بداية القرن التاسع عشر؛ حيث ذكرها الرحالة السويسري (يوهان بوركهارت) (Johan Burckhardt) عام ١٨١٢م خلال رحلته في مناطق شرقي الأردن منطقة (تلول الجفر)، وقد حدد موقع هذه المنطقة بأنها تقع إلى الشرق من قلعة عنيزة العثمانية[٥٤]، وهي القلعة التي بُنيت على طريق الحاج الشامي وتقع إلى الشمال من معان[٥٥]، وفي عام ١٨٣٨م ذكر أحد الرحّالة أن قبيلة الحويطات كانت تتجه في فصل الشتاء إلى الأراضي المنخفضة التي تقع إلى الشرق من مرتفعات الشراة، بسبب ما تشهده هذه المرتفعات من أحوال جوية صعبة[٥٦]، وتشمل الأراضي المنخفضة منطقة الجفر، إضافة إلى المناطق الممتدة نحو الشرق، التي تصل حتى وادي السرحان ونجد، وهي المناطق التي اعتادت قبيلة الحويطات قضاء أشهر الشتاء فيها[٥٧]. وفي نهاية القرن التاسع عشر (عام ١٨٩٧م تقريبًا)، أجرى العالم النمساوي (موزل) (Musil) دراسة جغرافية واجتماعية للمنطقة، ورد فيها أن قبيلة الحويطات تقيم في فصل الشتاء في الجفر مستفيدة من المياه التي تؤمنها الآبار وغدران المياه[٥٨]، فيما تتجه القبيلة مع بداية فصل الربيع إلى عيون المياه في

---

(52) Raphal Patai, The Kingdom of Jordan, Princeton University Press, New Jersey, 1959, p.193.

(٥٣) مفلح العدوان، **معان وقراها**، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١١م، ص ٥٧.

(54) John Lewis Burckhardt,Travels in Syria and The Holy Land, Draf Publishers LTD, London, 1992, p. 409.

(55) Georg Wallin, Travels in Arabia, (1845 and 1848), The Oleander Press, Cambridge, 1979, p. 128.

(56) Edward Robinson, Smith Eli, Biblical Researches in Palestine, Mount Sinai and Arabia Petraea, AJournal of Travels in the Year 1838,Vol: I, Craker & Brewster, Boston, 1841, p.239.

(٥٧) سويله مز اوغلي، **رحلة سويله مز اوغلي إلى بلاد الشام**، ١٨٩٠م، دراسة وترجمة وتحقيق: فاضل بيّات، منشورات جامعة آل البيت، المفرق، ٢٠٠٠م، ص١٦٠.

(58) Alois Musil, Arabia Petraea,Vol:IIEdom, Topographischer Reiseheicht 2.Teil, k,u,k, Hof- und Universitats Buchhandler ,Wien. 1907, p. 227.

مرتفعات الشراة، مثل عين ضور وعين قرين، وتبقى حول هذه العيون حتى نهاية الصيف(٥٩).

ومع تأسيس لواء الكرك عام ١٨٩٢م وامتداد سلطة الحكومة العثمانية إلى مناطق انتشار القبائل البدوية وفرضها الضرائب الخاصة على الإبل والمواشي، حدثت عدة مناوشات بينها وبين القبائل البدوية(٦٠) منها امتناع قبيلة الحويطات عن دفع الضرائب(٦١)، وفي بعض الأحيان الاشتباك مع جنود الحكومة، كما حصل عندما رفض الشيخ عوده أبو تايه دفع الضريبة مما أدى إلى الاشتباك مع القوات الحكومية، ونجم عنه مقتل اثنين من أفراد هذه القوة(٦٢)، ونتيجة لفرض الضرائب كانت قبيلة الحويطات تتجه نحو مناطق البادية الشرقية البعيدة، بحيث لا تصل القوات الحكومية إليها(٦٣).

ومع بداية القرن العشرين يبدو أن عشائر الجفر حفرت المزيد من الآبار (الصورة:٢)، وبنى الشيخ عوده أبو تايه حصنًا له بالقرب من إحدى هذه الآبار(٦٤) بحدود عام ١٩٠٩م، وهو حصن مبني من الطوب المصنوع من الطين، ويتكون من طابقين وثلاث غرف واسعة في كل طابق، ويحيطه سور مربع الشكل، وفي كل زاوية من زواياه الأربع برج مراقبة دائري الشكل(٦٥) (الصورة: ١)، كما بنى العديد من شيوخ الجفر بيوتًا لهم من الطوب الطيني، وهي مادة البناء المتوافرة في ذلك الوقت(٦٦)، وكانت سقوف هذه البيوت مبنية من سيقان أشجار الطلح والطرفاء التي تكثر في المنطقة(٦٧) (الصورة:٥).

ويبرز دور عشائر الجفر في أثناء ثورة الكرك عام ١٩١٠م؛ حيث زار عبد القادر المجالي أحد قادة الثورة الجفر وطلب العون والمساعدة لفتح جبهة أخرى ضد القوات العثمانية، وعند اندلاع الثورة في الكرك هجم كل من محمد بن دحيلان أبو تايه وزعل بن مطلق أبو تايه وعوده بن زعل أبو تايه على الحامية العثمانية في معان انطلاقًا من الجفر(٦٨).

---

(59) Alois Musil, Arabia Petraea, Vol: III, Ethnologischer Reisebericht, k,u,k, Hof-und Universitats Buchhandler ,Wien. 1908, p. 52.

(60) Antonin Jaussen, Coutumes Des Arabes, Au Pays De Moab, Librairie Victor Lecoffre, Paris, 1908, p. 392.

(٦١) الوثائق الحكومية، المكتبة الوطنية، **وثيقة رقم**: م.د. ١/٢١/١، ٢ تشرين الأول ١٣١٠ هـ.

(62) Frederick Peake, A History of Transjordan and it's Tribes, p.209.

(63) A Collection of First World War Military, Gazetteer of Arabia, vol: II, part: 2, 1917, Archive Editions, London, 1988, p. 856.

(٦٤) عشائر الجفر: تتفرع العشائر التي استقرت بالجفر من قبيلة الحويطات، وهي على النحو التالي: أبو تايه وتتكون من ثمانية عشائر: عيال صبّاح، عيال جازي، الخشمان، عيال قاسم، الفراج، عيال سلامه، عيال مضحي، عيال أحمد، بالإضافة إلى عشائر: النواصره، الدمانية، الفتنة، الخميسيين، المصبحيين، السميحيين (انظر، العدوان، معان وقراها، ص٥٨).

(65) Frederick Peake, A History of Transjordan and it's Tribes, p.213.

(66) Guy Mountfort, Portrait of A Desert, Collins, London, 1969, p. 150.

(٦٧) مفلح العدوان، معان وقراها، ص٥٤.

(٦٨) محمد وهيب، محمود عبدالعزيز، **الجفر وجوارها/ بلدة أردنية**، وزارة الثقافة، ٢٠١١م، ص٢٧.

(٦٩) المقتبس، عدد: ٥٩٨، ١٢ شباط ١٩١١م، ص٢.

لقد شهد مطلع القرن العشرين عدة معارك وغزوات بين القبائل البدوية، كان من بينها غزوات قامت بها قبيلة الحويطات، منها ما حدث في وادي أبو عمود جنوبي الجفر بين قبيلتي الحويطات والشرارات عام ١٩٠٤م[٦٩]، ومعركة (الطور) في منطقة الطبيق شرقي الجفر عام ١٩٠٩م، بين قبيلتي الحويطات وبني صخر[٧٠]، وانطلاقًا من الجفر غزا الشيخ عوده أبو تايه صيف عام ١٩١٦م قبيلة السباع بالقرب من مدينة حلب السورية، وغنم في هذه الغزوة نحو ٨٠٠ رأس من الإبل[٧١].

حوض الجفر في أثناء الثورة العربية الكبرى وحكم الإمارة

مع انطلاق الثورة العربية الكبرى في ١٠ حزيران ١٩١٦م ووصولها إلى شرقي الأردن منتصف ١٩١٧م، يظهر أن عشائر الجفر قد اتجهت شرقًا نحو وادي السرحان الذي يقع في عمق الصحراء بعيدًا عن أعين القوات العثمانية التي يبدو أنها بدأت تراقب تحركات قبيلة الحويطات في الجفر، إضافة إلى أنها كانت تنوي الاتصال بالأمير فيصل بن الحسين قائد الجيش الشمالي، ففي مطلع شهر نيسان ١٩١٧م وصل إلى مقر الأمير فيصل في الوجه [٧٢]، مجموعة من شيوخ الحويطات على رأسهم عوده أبو تايه لتقديم الدعم والتأييد للأمير فيصل، ومساندة قوات الثورة عسكرياً عند بدء عملياتها في شرقي الأردن[٧٣].

وقد اتجهت الحملة المقرر أن تهاجم ميناء العقبة من الوجه إلى وادي السرحان حيث تنزل قبيلة الحويطات[٧٤]، وبعد انضمام رجال القبائل توجهت نحو الجنوب الغربي، ومرت بآبار باير ووجدتها مدمرة ثم تحركت نحو الجفر[٧٥]، ويبدو أن القوات العثمانية قد علمت بتحركات القوات العربية وخط سيرها؛ لذا أرسلت قوة عسكرية دمرت آبار الجفر أيضًا؛ لمنع اتخاذها مركزًا ومنطلقًا لمهاجمة الحامية العثمانية في معان[٧٦]، وكان عدد آبار الجفر في هذه المدة سبع آبار[٧٧]. وبالرغم من ذلك تقدمت القوات العربية باتجاه الجفر، وفيها أقامت بضعة أيام بهدف إعادة تجميع القوات وإصلاح إحدى آبارها[٧٨]، وفي أثناء تجمّع القوات العربية في الجفر شنّت القوات العثمانية هجومًا على بعض خيام

(70) Antonin Jaussen, *Coutumes Des Arabes, Au Pays De Moab*, pp. 176-179.

(٧١) بولس سلمان، **خمسة أعوام في شرقي الأردن**، الدار الأهلية، عمان، ١٩٨٩م، ص٤٦-٤٧.

(72) The Arab Bulletin, *Bulletin of the Arab Bureau in Cairo,* 1916-1919, Vol: I, 1916, (No: 20), September 14, 1916, Editor. R.L. Bidwell, Archive Edition Ltd, London, 1986, p. 232.

(٧٣) (وسيشار إليه لاحقًا: **A.B.** No)

(74) **(A.B.)** No. 47, April 11, 1917, p. 167.

(75) **(A.B.)** No. 48, April 21, 1917, p. 178.

(76) **(A.B.)** No. 56, July 9, 1917, p. 300.

(٧٧) جريدة القبلة، عدد: ٩٦، ٢٧ رمضان ١٣٣٥هـ، ص٢.

(78) **(A.B.)** NO. 57, July 21, 1917, p.308.

(٧٩) توماس ادوارد لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ترجمة محمد نجار، الطبعة الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨م، ص٣٢٨- ٣٢٩.

(٨٠) سليمان الموسى، **مذكرات الأمير زيد**، مركز الكتب الأردني، عمان، ١٩٩٠م، ص ٦٥.

الحويطات في منطقة الفويلة/ رأس النقب جنوب غربي معان(٧٩)، مما تسبب في مقتل رجل طاعن في السن وست نساء وسبعة أطفال(٨٠)، فتحركت القوات التي تجمعت في الجفر، ومنها هاجمت القوات العربية في طريقها للعقبة محطة غدير الحاج جنوبي معان وحصن أبو اللسن(٨١)، واتجهت نحو القويرة وفيها انضمت عشائر تلك المنطقة بقيادة الشيخ حسن بن نجاد(٨٢)، وتمّت السيطرة على العقبة، وأدى الشيخ عوده أبو تاية وقبيلة الحويطات دورًا أساسيًّا في السيطرة عليها، لهذا أصدر الشريف الحسين بن علي إرادته السنية بإهداء كل من الشريف ناصر والشيخ عوده أبو تايه سيفًا ذهبيًا، إضافة إلى زيادة مرتبات القوات البدوية، والقوات التي تعمل تحت قيادة الشيخ عوده أبو تايه لدورها في معركة العقبة(٨٣).

ويبرز دور الجفر مرة أخرى في أحداث الثورة العربية الكبرى في الهجوم على محطة جرف الدراويش التي تُعَدُّ بوابة مدينة الطفيلة من الجهة الشرقية(٨٤)، فقد جُهّزت سرية من اللواء الهاشمي ومن هجانة الشريف ناصر بن علي، وسارت من القويرة إلى الجفر، وفيها انضم إلى الحملة الشيخ عوده أبو تايه ورجاله، ثم توجهت لمهاجمة محطة جرف الدراويش التي تقع إلى الشمال الغربي من الجفر(٨٥)، واحتلت القوات العربية تساندها القبائل البدوية مدينة الطفيلة بعد حصارها، وأبدى الشريف الحسين بن علي شكره وتقديره للجهود الكبيرة التي بذلتها هذه القبائل في المعركة، وأمر بإهداء سيوف للشيوخ: حمد بن جازي، وسحيمان بن جازي، وذياب العوران، وخصص معاشات لعشائرهم(٨٦).

وشهدت الجفر في منتصف عام ١٩١٨م استضافة الشيخ عوده أبو تاية اجتماعًا بين الأمير فيصل بن الحسين والشيخ نوري الشعلان زعيم الرولة، هدف إلى إقناع الشعلان بمساندة الحملة العسكرية المتجهة لتحرير دمشق، وخصوصًا أنها ستعبُر المناطق التي تخضع لسيطرة الشعلان(٨٧)، وكانت الجفر محطةً مهمة لهذه الحملة في طريقها لدمشق(٨٨)؛ حيث تجمّعت القوات العسكرية فيها وانضم لها الشيخ عوده ورجال قبيلة الحويطات، ثم تابعت الحملة طريقها إلى الأزرق، ثم إلى درعا، فدمشق(٨٩).

وخلال المدة التي شهدت تأسيس إمارة شرقي الأردن عام ١٩٢١م وما بعدها، حدثت عدة مناوشات وغزوات بين عشائر الجفر والقبائل النجدية في وادي السرحان ومنطقة الطبيق؛ حيث كانت عشائر

---

(٨١) موسى، سليمان، **المراسلات التاريخية**، ١٩١٤-١٩١٨م، الثورة العربية الكبرى، المجلد الأول، الطبعة الأولى، (الناشر سليمان موسى)، عمان، ١٩٧٣م، ص١٢٥- ١٢٦.

(82) **(A.B.)** NO. 59, August 12, 1917, p. 337.

(٨٣) جريدة القبلة، عدد: ١٤٥، ٢٧ربيع الأول ١٣٣٦هـ، ص٢.

(٨٤) موسى، المراسلات التاريخية، ص١٢٦.

(٨٥) جريدة القبلة، عدد: ١٠٤، ٢٨ شوال ١٣٣٥هـ، ص٢.

(86) **(A.B.)** NO. 77, January 27, 1918, p. 29.

(٨٧) أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى**، المجلد الأول، الناشر عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٣٣م، ص٢٢٨.

(٨٨) موسى، مذكرات الأمير زيد، ص٩١.

(٨٩) تحسين علي، **مذكرات تحسين علي**، ١٨٩٠-١٩٧٠م، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٧٨.

(90) Major Jarvis, *Arab Command,* The Biography of Lieutenant – Colonel F. G. Peake Pasha, Hutchinson & Co. Ltd, London, 1942, p. 43.

(٩١) احمد قدري، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى**، مطابع ابن زيدون، دمشق، ١٩٥٦م، ص٧٠.

الجفر تنتقل إلى هذه المناطق الدافئة شتاءً(٩٠)، وكثيرًا ما كانت تحدث غزوات متبادلة بين الطرفين في تلك المناطق(٩١)، وفي بعض الأحيان كانت تصل غزوات القبائل النجدية إلى المناطق القريبة من الجفر(٩٢).

حوض الجفر خلال مدة الاستقرار النسبي

حفرت عشائر الجفر مزيدًا من الآبار التي يقع معظمها بالقرب من حصن الشيخ عوده أبو تايه، وهي عبارة عن آبار يزيد عمق بعضها عن عشرين مترًا يتم حفرها إلى أن تصل إلى المياه الجوفية القريبة من سطح الأرض نسبيًا(٩٣)، ونجد وصفًا مهمًا ونادرًا لهذه الآبار دوّنه مفلح العدوان عند زيارته للجفر عام ١٩٢٧م؛ حيث يذكر أنه شاهد عدة آبار حول الحصن، وأن طريقة استخراج المياه من الآبار تتم بواسطة عجلة خشبية دائرية كبيرة تشبه (الناعورة)، يديرها زوج من الإبل، ويذكر أنه كانت هناك على ما يبدو محاولات لزراعة القمح بالقرب من الآبار؛ إذ شاهد أشخاصًا يجمعون الحجارة من الأرض بهدف تهيئتها للحراثة بواسطة محراث خشبي(٩٤)، وفي سنوات لاحقة خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين طويت آبار الجفر من الداخل بالحجارة الجيرية المشذبة، وزُودت بمضخات تعمل بالوقود لسحب المياه(٩٥).

وبتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٢٥م ضُمت معان والعقبة إلى إمارة شرقي الأردن(٩٦)، بعد أن كانتا تتبعان مملكة الحجاز، وكانت قبيلة الحويطات تُحسب إداريًا ضمن هذه المملكة، ومما يدل على هذا أن القبيلة لم يظهر اسمها في الإحصاء الأول الذي أجرته إمارة شرقي الأردن للقبائل البدوية التابعة لها عام ١٩٢٢م(٩٧)، ومع انضمام معان نشرت حكومة الإمارة وحدات عسكرية أردنية في عدة مناطق، وكان من ضمنها منطقة الجفر لحفظ الأمن والفصل بين القبائل البدوية (٩٨).

---

(92) Gilbert Clayton's Mission, Memorandum by Mr. G. Antonius on the Eastern Frontier of Transjordan, 22 September 1925, (L / P&S /10 /1144) *A.B*,Vol: 5, p.59.

(93) Report of the Raiding Situation on the Transjordan – Nejd Frontier by Air Vice Marshal Dowding, Undated, (CO. 831 / 7 / 8), *A.B,* Vol.5, p.245.

(٩٤) عبد الله بن الحسين، **الوثائق الهاشمية**، أوراق عبد الله بن الحسين، المجلد العاشر– القسم الأول، جامعة آل البيت، المفرق، ١٩٩٧م، ص٤١١.

(٩٥) وهيب، الجفر وجوارها، ص٢٩.

(96) Henry Field, *North Arabian Desrt Archaealogical Survey,* 1925 – 1950, Krous Reprint Co, New York, 1974, p. 44.

(٩٧) مفلح العدوان، معان وقراها، ص٥٤.

(٩٨) الشرق العربي، عدد: ١٠٨، ١ تموز ١٩٢٥م، ص١٤.

(99) Joseph Massad, *Colonial Effects,* The Making of National Identity in Jordan, Columbia University Press, New York, 2001, p. 56.

(١٠٠) منيب الماضي، سليمان الموسى، **تاريخ الأردن في القرن العشرين**، الطبعة الثانية، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٨٨م، ص٢٥٠ – ٢٥١.

وجرت اتفاقات صلح بين القبائل البدوية التابعة للإمارة، ففي عام ١٩٢٦م وقعّت كل من قبيلتي الحويطات وبني صخر وثيقة صلح(٩٩)، برعاية الأمير عبد الله بن الحسين تهدف لإنهاء جميع المشكلات العالقة بين القبيلتين، وقد مثّل عشائر الجفر في توقيع وثيقة الصلح، كل من الشيخ محمد عوده أبو تايه والشيخ عوده زعل أبو تايه(١٠٠).

وخلال المدة ما بين عام ١٩٢٧م وحتى عام ١٩٢٩م، صدرت عدة قوانين الغاية منها ضبط تحركات القبائل البدوية وتنظيم شؤونها، فقد صدر عام ١٩٢٧م قانون موضوع ذيلاً لقانون محاكم العشائر الصادر عام ١٩٢٤م، يهدف إلى فضّ النزاعات بين القبائل(١٠١)، وبعد ذلك بعام أصدرت حكومة الإمارة التشكيلات الإدارية التي تضمنت أسماء القبائل والعشائر الأردنية، وفي هذه التشكيلات قُسمت قبيلة الحويطات إلى عشائر عدة تتبع للواء معان، ومن ضمنها ورد اسم عشيرة التوايهة/ أبو تايه التي تسكن في الجفر(١٠٢).

ويظهر من خلال هذه التشكيلات التي تُعد أول تقسيمات إدارية تجريها إمارة شرقي الأردن منذ تأسيسها، أنها سمّت المناطق والقرى بأسماء العشائر، وبقيت كذلك حتى عام ١٩٥٧م؛ حيث جرى إلغاء أسماء العشائر وسميت المناطق والقرى بأسمائها.

وفي مطلع عام ١٩٢٩م شهدت إمارة شرقي الأردن تأسيس المجلس التشريعي الأول، وتشكلت لجنة من شيوخ بدو الجنوب لاختيار عضو في المجلس، وكان مندوب عشائر الجفر في هذه اللجنة هو الشيخ محمد دحيلان أبو تايه (١٠٣)، وفي ذلك العام أيضًا صدرت قوانين مهمة أخرى تُعنى بشؤون القبائل، منها: قانون الإشراف على البدو، ويهدف إلى الإشراف على القبائل البدوية ومن ضمنها (قبيلة الحويطات) ومراقبة تحركاتها وتنقلاتها، وتعيين الأماكن التي تنزل بها(١٠٤)، وقانون ضريبة المواشي، حيث كُلفت هيئة من شيوخ العشائر جمع هذه الضريبة(١٠٥).

ومع الشروع في تأسيس قوات البادية عام ١٩٣٠م، بُني مخفر في الجفر، تكوّن مرتّبه من ثلاثة أفراد ضباط صف وعشرة جنود (١٠٦)؛ بهدف حفظ الأمن ومنع حدوث مواجهات بين القبائل البدوية، وقد أسهمت قوات البادية وإنشاء المخافر في التقليل من هذه المواجهات التي كانت تحدث خلال هذه

(101) Translation of Statements an Undertakings Made by Sheiks of the Beni Saker and Howeitat, 18 May 1926, (FO / 371/ 11505), *Records of Jordan*, Vol. 2, pp. 679- 681.

(١٠٢) الشرق العربي، عدد: ١٣٠، ١١ حزيران ١٩٢٦م، ص١٠- ١١.

(١٠٣) الشرق العربي، عدد: ١٤٨، ١٥ كانون الثاني ١٩٢٧م، ص٤-٥.

(١٠٤) الشرق العربي، عدد: ١٨٢، ١ آذار ١٩٢٨م، ص٤-٥.

(١٠٥) الجريدة الرسمية، عدد: ٢١٦، ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٩م، ص ١١-١٣.

(١٠٦) الجريدة الرسمية، عدد: ٢١٦، ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٩م، ص٢- ٧.

(١٠٧) الجريدة الرسمية، عدد: ٢٣٠، ١٦ حزيران ١٩٢٩م، ص٣- ٤.

(١٠٨) Colonial Office, *Transjordan,* 1929- 1931, Vol. 3, (Colonial No: 47), p. 143.

المدة المضطربة على جانبيّ الحدود بين قبائل إمارة شرقي الأردن وإمارة نجد(١٠٧)، ومخفر الجفر هو بناء مستطيل الشكل مبني من الحجارة الجيرية المشذبة، وله ساحة داخلية واسعة وبرجان مربّعان، تتوزع داخل الساحة عدة غرف، وبئر ماء وسلم حجري يؤدي إلى غرفة واسعة في الطابق العلوي(١٠٨)، وقد استخدم مخفر الجفر لغايات تعليم الجنود القراءة، والكتابة، وكيفية استخدام اللاّسلكي التلغراف (البرق)(١٠٩)، وفي عام ١٩٣٩م جرى نقل مركز مقاطعة البادية الجنوبية إلى مخفر الجفر وتسميتها بـ (مقاطعة الجفر)، بعد أن كان مقرها السابق يقع في منطقة المدورة(١١٠).

وخلال نهاية العشرينيات من القرن العشرين كانت الجفر تقع على الطريق التجاري الرابط بين منطقة الجوف في شمال غرب الجزيرة العربية ومعان، حيث ورد اسمها في قانون الجمارك والمكوس باعتبارها محطة من محطات القوافل التجارية التي كانت تسير على هذا الطريق(١١١).

الجفر من بداية استقرار العشائر البدوية وحتى تأسيس المشروع الزراعي

في عام ١٩٣٣م وقّعت كل من إمارة شرقي الأردن والمملكة العربية السعودية معاهدة الصداقة وحسن الجوار، وتضمنت إحدى بنود المعاهدة العمل على إنهاء الغزوات المتبادلة بين قبائل البلدين(١١٢)، مما أدى إلى تحسن الأحوال الأمنية والاجتماعية في مناطق البادية الأردنية وخاصة الجفر؛ حيث بدأت قوات البادية في عام ١٩٣٤م بالإشراف على تعليم أبناء العشائر في مخفري الجفر وباير(١١٣)، وبعد ذلك بثلاثة أعوام أنشئت مدرسة الجفر(١١٤)، وكان مبنى المدرسة الذي شيّد على بُعد عدة أمتار من المخفر يتكون من غرفتين متجاورتين(١١٥) (الصورة: ٣).

وظهرت بداية الاهتمام في المجال الصحي في مناطق البادية مع إنشاء المخافر مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين؛ حيث زُودت هذه المخافر –ومنها مخفر الجفر– بأدوات الإسعاف الأولية وبعض الأدوية الضرورية لمعالجة الجنود وممن يتواجد بالقرب من المخافر من أبناء القبائل البدوية، وكان مأمور الصحة في المقاطعة التي يتبع لها المخفر يزور المنطقة لتقديم العلاج والتحري عن الأمراض

---

(١٠٩) Colonel C. H. F. Cox to The High Commission of Transjordan- Nejd Frontier, 1930, (Co 831 / 7 /8), *B.A,* Vol. 5, pp. 233- 240.

(١١٠) Douglas Glen, *In The Steps of Lawrence of Arabia*, Rich & Cowan Ltd, London, 1940, p. 173.

(١١١) Aref Abu- Rabi›a, A *Bedouin Century,* Berghahn Books, New York, 2001, p. 141.

(١١٢) الجريدة الرسمية، عدد: ٦٣٣، ١٦ أيار ١٩٣٩م، ص٣٤٧.

(١١٣) الجريدة الرسمية، عدد: ٢٣٤، ١ آب ١٩٢٩م، ص٣.

(١١٤) معن أبو نوار، **تاريخ المملكة الأردنية الهاشمية**، تطور إمارة شرق الأردن، ١٩٢٩-١٩٣٩م، المجلد الثاني، مركز الرأي للدراسات والمعلومات، عمان، ٢٠٠٣م، ص١٨٨.

(١١٥) Colonial Office, *Transjordan,* 1934 - 1935, vol: 5, (Colonial No: 104), p. 266.

(١١٦) Colonial Office, *Transjordan,* 1937 - 1938, vol: 7, (Colonial No: 146), p. 367.

(١١٧) Douglas Glen, In the Steps of Lawrence of Arabia, p. 182.

السارية[١١٦]، وفي عام ١٩٣٧م أسست حكومة إمارة شرقي الأردن ما يعرف بـ (الوحدة الطبية المتنقلة)، التي تتكون من طبيب ومأموريّ صحة وسيارة إسعاف وخيمة، وكانت هذه الوحدة تتنقل في مناطق البادية ومن ضمنها منطقة الجفر[١١٧]، وفي عام ١٩٣٨م اشترت مصلحة الصحة العامة مبنى في الجفر يتكون من غرفتين لاستعماله مركزًا ثابتًا للعيادة الصحية (الصورة: ٤)، بعد أن كانت تقدم خدماتها في خيمة متنقلة التي كانت عرضة للعوامل الجوية، وخاصة في فصل الشتاء[١١٨]، وخلال عامي ١٩٣٨م و ١٩٣٩م راجع عيادة الجفر الصحية عشرات الأشخاص وقُدمت لهم الفحوصات الطبية والعلاجات اللازمة[١١٩].

ونتيجة للاستقرار النسبي، أصبحت عشائر الجفر تنتقل في فصل الصيف إلى مرتفعات الشراة حيث عيون المياه التي تملكها هذه العشائر، ومنها عيون: ضور، وعقيقة، والعشرة، والدرباسي، والعنق[١٢٠] (الخريطة:٢)، وهذا أدى بدوره إلى ظهور بدايات الاهتمام بزراعة تلك المرتفعات واستصلاح الأراضي وزراعتها بالمحاصيل البعلية كالقمح والشعير، ودعم السكان من خلال تقديم حكومة إمارة شرقي الأردن المساعدات المالية الضرورية للقيام بأعمال الزراعة من شراء البذور وحراثة الأرض[١٢١].

وفي تقرير أعده المفتش الإداري في لواء معان عام ١٩٣٥م عن أحوال الزراعة في مناطق اللواء، نجد إشارة مهمة على إقبال سكان مرتفعات الشراة على زراعة أراضيهم بمحاصيل القمح والشعير[١٢٢]، وخلال المدة ما بين ١٩٣٥- ١٩٣٩م، ساعدت حكومة الإمارة وقوات البادية والقبائل البدوية بإجراء صيانة وترميم لبرك المياه القديمة المنتشرة في مناطق البادية، حيث تتجمع مياه الأمطار في هذه البرك، ويستفيدوا منها في سقاية إبلهم ومواشيهم، كما زودت بعضها بصهاريج لنقل المياه وتوزيعها على القبائل في أماكن سكناها[١٢٣]، وأجرت الحكومة أعمال إصلاح عيون المياه في مرتفعات الشراة، وتضمنت هذه الإصلاحات: توسعة العيون وبناء البرك وربطها بقنوات مياه[١٢٤].

وقد شجّع استقرار العشائر في الجفر نهاية الأربعينيات من القرن العشرين الجيش العربي على إلحاق مدرسة الجفر بقسم الثقافة في وزارة الدفاع؛ حيث كان يشرف على التعليم فيها معلمون ينتسبون

(١١٨) أسامة الطلافحة، **التطور التاريخي للأحوال الصحية في الأردن**، (عهد الإمارة ١٩٢١- ١٩٤٦م)، د.ن، اربد، ٢٠٠٨م، ص١٤٨.

(١١٩) مصلحة الصحة العامة، **التقرير السنوي لعام ١٩٣٧م**، ص٣٩.

(١٢٠) مصلحة الصحة العامة، **التقرير السنوي لعام ١٩٣٨م**، ص٣٢.

(١٢١) مصلحة الصحة العامة، **التقرير السنوي لعام ١٩٣٨م**، ص٢٧.

(١٢٢) Frederick Peake, *A History of Transjordan and it's Tribes*, p. 214.

(١٢٣) Riccardo Bocco, International Organizations and the Settlement of Nomads in the Arab Middle East, 1950-1990, *The Transformation of Nomadic Society in the Arab East*, Edited by Martha Mundy, Cambridge University Press, Cambridge, 2000, pp. 197-217.

(١٢٤) **المكتبة الوطنية**، وثيقة رقم: ٢١/ ٢١/ ١/ ٣٥-٤٢، تاريخ ٦/ ٤/ ١٩٣٥م.

(١٢٥) Tariq Tell, *The Social and Economic Origins of Monarchy in Jordan*, Palgrave Macmillan, New York, 2013, p. 98.

(١٢٦) Colonial Office, *Transjordan,* 1936 - 1937, Vol. 6, (Colonial No: 129), p. 333.

للقوات المسلحة[١٢٥]، ويمكن ملاحظة مدى تأثير المدرسة على عشائر الجفر؛ حيث أدى وجود المدرسة إلى تشجيع هذه العشائر على الاستقرار، من أجل تدريس أبنائهم وتعليمهم في المدرسة[١٢٦]. كما أدى هذا الاستقرار وازدياد عدد السكان إلى ظهور اسم الجفر في التشكيلات الإدارية في المملكة عام ١٩٥٧م، وكانت من ضمن العديد من مناطق البادية التي تتبع للواء معان[١٢٧].

ويبدو أن الأيام التي شهدت بداية استقرار عشائر الجفر، قد رافقها بعض المشكلات الاقتصادية، والأحوال المعيشية الصعبة للسكان الناتجة عن سنوات الجفاف، وشح الأمطار، وعدم وجود مصادر دخل أو توفر المساكن الثابتة، وكان قائد مخفر الجفر يقوم مقام الحاكم الإداري للمنطقة؛ إذ كان يرسل التقارير التي تشرح أحوال السكان إلى مسؤولي الحكومة، وقد تضمن بعضها الأوضاع الصحية في منطقة الجفر، ومراقبة انتشار الأمراض السارية فيها[١٢٨]. إضافة إلى معاناة أهالي الجفر، وباير، والمدورة من نقص الأدوية، والمواد الغذائية خاصةً في فصل الشتاء[١٢٩]، وكان شيوخ، ووجهاء العشائر في الجفر يرفعون البرقيات لمتصرف معان يشرحون فيها صعوبة الأحوال المعيشية تلك، التي سببتها توالي سنوات الجفاف حيث أثّرت سلبًا في ما يملكون من إبل وأغنام، وسوء الأحوال الصحية، وازدياد عدد السكان في البلدة[١٣٠].

وابتداءً من مطلع عام ١٩٦٠م وضع المسؤولون المحليون في لواء معان جملة من الاقتراحات التي تهدف إلى معالجة الظروف الصعبة التي يواجهها سكان الجفر، ومن ضمن هذه الاقتراحات وضع تصور لإصدار تشريع خاص يهدف لإقامة مشروع لإسكان البدو وتشجيعهم على الاستقرار، بحيث يتضمن هذا المشروع إنشاء مشاريع زراعية في أراضٍ وافرة المياه وبناء مساكن للأهالي في الجفر، وإيجاد مصادر رزق ثابتة ودائمة لهم، بحيث تعمل على تخفيف الأعباء المالية على خزينة الدولة، والناتجة عن تقديمها المساعدات للسكان[١٣١]، وقدمت اقتراحات أخرى تهدف إلى حل مشكلة البطالة والحد من صعوبة المواصلات المؤدية إلى الجفر، منها الاقتراح بضرورة فتح وتعبيد طريق يربط بين معان والجفر، بحيث سيوفر هذا المشروع فرص عمل لأهالي الجفر، وتسهيل ذهابهم وإيابهم إلى مدينة معان[١٣٢].

وفي عام ١٩٦١م زار وفد من مجلس النواب المناطق الجنوبية بما فيها منطقة الجفر، بهدف الاطلاع على واقع الأحوال المعيشية لسكان تلك المناطق، وقدّم الوفد إثر هذه الزيارة الميدانية جملة

---

(١٢٧) وزارة التربية والتعليم، **التقرير السنوي للعام الدراسي ١٩٥٦-١٩٥٧م**، ص١٠١.

(١٢٨) أحمد العبادي، **وثائق صلح عشائرية**، منطقة معان، ١٩٣٢- ١٩٧٩م، د.ن، عمان، ١٩٩٣م، ص٩٨-١٠٠.

(١٢٩) الجريدة الرسمية، عدد: ١٣٣٩، ١ تموز ١٩٥٧م، ص٦٠٥.

(١٣٠) **المكتبة الوطنية**، وثيقة رقم: ٢٠/١٠/١/٣٠، تاريخ ١٩٥٧/٢/٢٣م.

(١٣١) **المكتبة الوطنية**، وثيقة رقم: ٧٦/١١/١/٣٠، تاريخ ١٩٥٩/١٢/٢٢م.

(١٣٢) **المكتبة الوطنية**، وثيقة رقم: ٣٠/ ٤/١/ ٤٥، تاريخ ١٩٦٠/٢/٢١، وانظر أيضا وثيقة رقم: ٣٠/ ٨٥/٤/١، تاريخ ١٩٦٠/٣/١٠، ووثيقة رقم: ٤١/١٣/١/٣٠-٤٥، تاريخ ١٦/ ١٩٦٠/٢م.

(١٣٣) **المكتبة الوطنية**، وثيقة رقم: ١٤١/١١/١/٣٠، تاريخ ١٩٦٠/١/٦م.

(١٣٤) **المكتبة الوطنية**، وثيقة رقم: ٤٥/٤/١/٣٠، تاريخ ١٩٦٠/٢/٢١م.

من التوصيات للحكومة، لمعالجة المشاكل التي يعاني منها سكان المناطق الجنوبية، من ضمنها: حفر آبار ارتوازية في مناطق تتوافر فيها المياه الجوفية، بحيث تكون فيما بعد نقاط تجمع للسكان، وتقديم كميات إضافية من البذار لمساعدة الأهالي في زيادة مساحات الأراضي الزراعية، وتشغيل أبناء هذه المناطق للتقليل من الفقر والبطالة في مؤسسات الدولة مثل: الأشغال العامة، وسكة الحديد، وميناء العقبة، وشركة فوسفات الحسا(١٣٣).

وبناءً على هذه التقارير، تم تكليف الوحدة الصحية في لواء معان زيارة منطقة الجفر لتقديم خدمات علاجية عاجلة لأهالي الجفر، وكُلف قسم صحة البيئة في اللواء إصلاح آبار الجفر القديمة واستخراج المياه منها، بعد أن بدأت كميات المياه بالتناقص التدريجي ولم تعد تكفي لسد حاجة الأهالي المتزايدة للمياه، خاصة مع ازدياد أعداد الذين يرغبون في الاستقرار الدائم في البلدة، وضرورة فتح عيادة صحية دائمة في الجفر(١٣٤).

واقترح أحد الخبراء المختصين تأسيس هيئة خاصة للتنمية في اللواء الجنوبي، تتكون من عدة وزارات ودوائر رسمية: وزارة الزراعة، ووزارة الصحة، ووزارة الشؤون الاجتماعية، ومجلس الإعمار، وسلطة المياه؛ لغاية اختيار منطقة معينة في اللواء الجنوبي، (الجفر مثلاً) بحيث توضع خطة لتنمية المنطقة من خلال حفر آبار المياه، وإمكانية تجربة زراعة بعض أنواع المحاصيل الملائمة للمنطقة، مثل المحاصيل العلفية، للإسهام في تطوير الثروة الحيوانية التي يملكها أهالي الجفر وزيادة أعدادها (١٣٥).

ويبدو أن الأحوال المعيشية الصعبة التي كان يعاني منها سكان الجفر خلال الأربعينيات والخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، والزيارات الميدانية للمسؤولين وتقديمهم المقترحات والحلول، قد دفعت كل هذه العوامل الحكومة الأردنية إلى إيجاد الحل المناسب لهذه المشكلات، ويتمثل ذلك في إنشاء لمشاريع الزراعية والإسكانية مطلع عام ١٩٦٢م عُرفت باسم (مشاريع توطين البدو)، وكانت بداياتها في الجفر(١٣٦).

النتائج:

يتضح من خلال الدراسات التي أجراها الباحثون في منطقة الجفر، أنها شهدت استقرارًا للإنسان منذ أقدم العصور، وقد شجعه في ذلك وجود بحيرة الجفر العذبة، فأقام هذا الإنسان مخيماته حولها واصطاد الحيوانات التي تأتي إليها، وكشفت الدراسة من خلال تناولها لأعمال المسوحات الميدانية والآثارية جانبًا من تاريخ الجفر خلال العصور الحجرية، واستمرار التواجد الحضاري للإنسان عبر الحقب التاريخية المتعاقبة اللاحقة، مثل: النبطية والرومانية والبيزنطية، أما في الحقبة الإسلامية

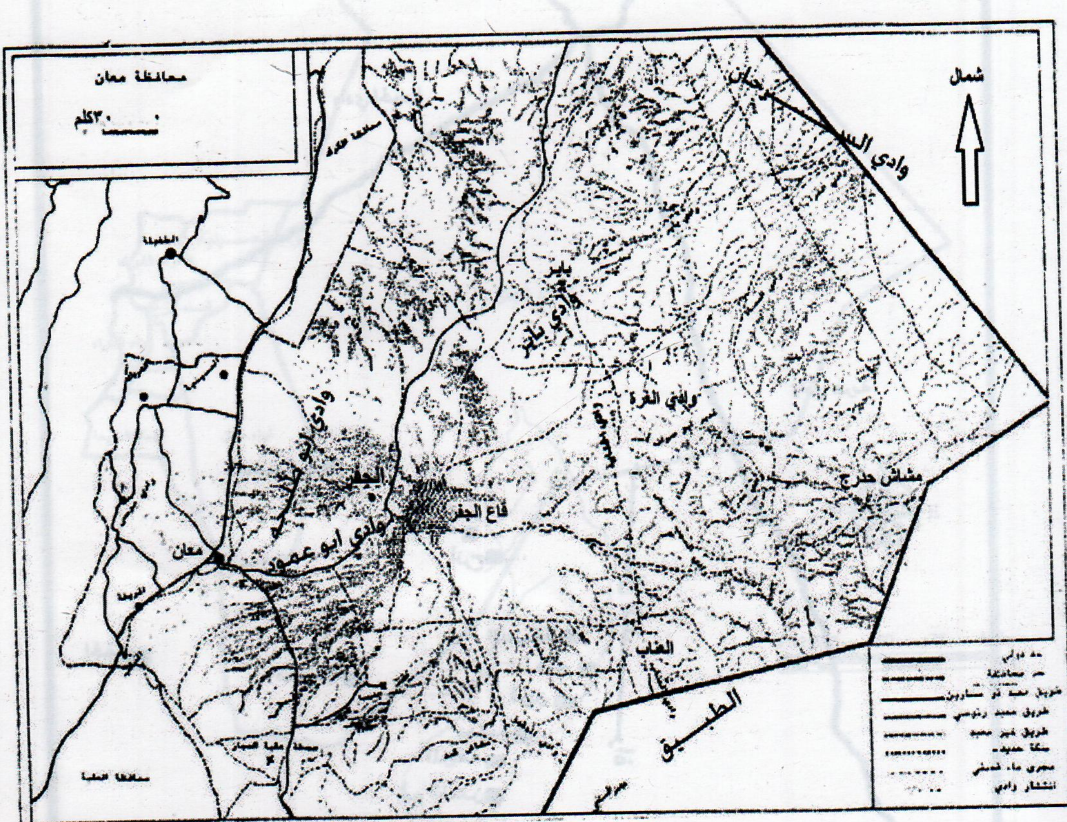
(١٣٥) **المكتبة الوطنية**، وثيقة رقم: ١٩/١٣/١/٣٠، تاريخ ١٩٦١/١/٩م.
(١٣٦) **المكتبة الوطنية**، وثيقة رقم: ٢٠/١٣/١/٣٠، تاريخ ١٩٦١/١/١٦م.
(١٣٧) **المكتبة الوطنية**، وثيقة رقم: ٣٠/ ١/ ١٦/ ٢-٣، تاريخ ١٩٦١/٢/٥م.
(١٣٨) مديرية التخطيط والدراسات، **المشروع التجريبي لتوطين البدو في الجفر**، التقرير السنوية لعام ١٩٦٤-١٩٦٥م، وزارة الزراعة، ١٩٦٥م، ص٨٥. وانظر أيضا، بسام النمري، **المشروع التجريبي لتوطين البدو**، وزارة الزراعة، د.ت، ص١.

وخاصةً خلال الحكم الأيوبي، فقد كانت الجفر محطة على طريق تنقلات جيش السلطان صلاح الدين الأيوبي بين الشام ومصر، بسبب وقوعها بعيدًا عن المرتفعات الغربية التي كان يسيطر عليها الصليبيون ومنزلاً من منازل قوافل الحج الشامي الذي انتقل نحو الشرق لتجنب تعديات الصليبيين.

وبيّنت الدراسة من خلال المعلومات المتوافرة عن منطقة الجفر أنها شهدت استقرار قبيلة الحويطات البدوية خلال القرن التاسع عشر، وقد أدى موقع الجفر الجغرافي دوراً مهماً في أحداث الثورة العربية الكبرى، يتمثل في اختيارها نقطة تجمع وانطلاق للقيام بالأعمال العسكرية ضد المواقع العثمانية، إضافة إلى كونها محطة على طريق الجيوش العربية للانتقال نحو الشمال بعيداً عن المواقع العسكرية العثمانية في المرتفعات الغربية، وهو الدور ذاته الذي كانت تمثله الجفر خلال الحقبة الأيوبية.

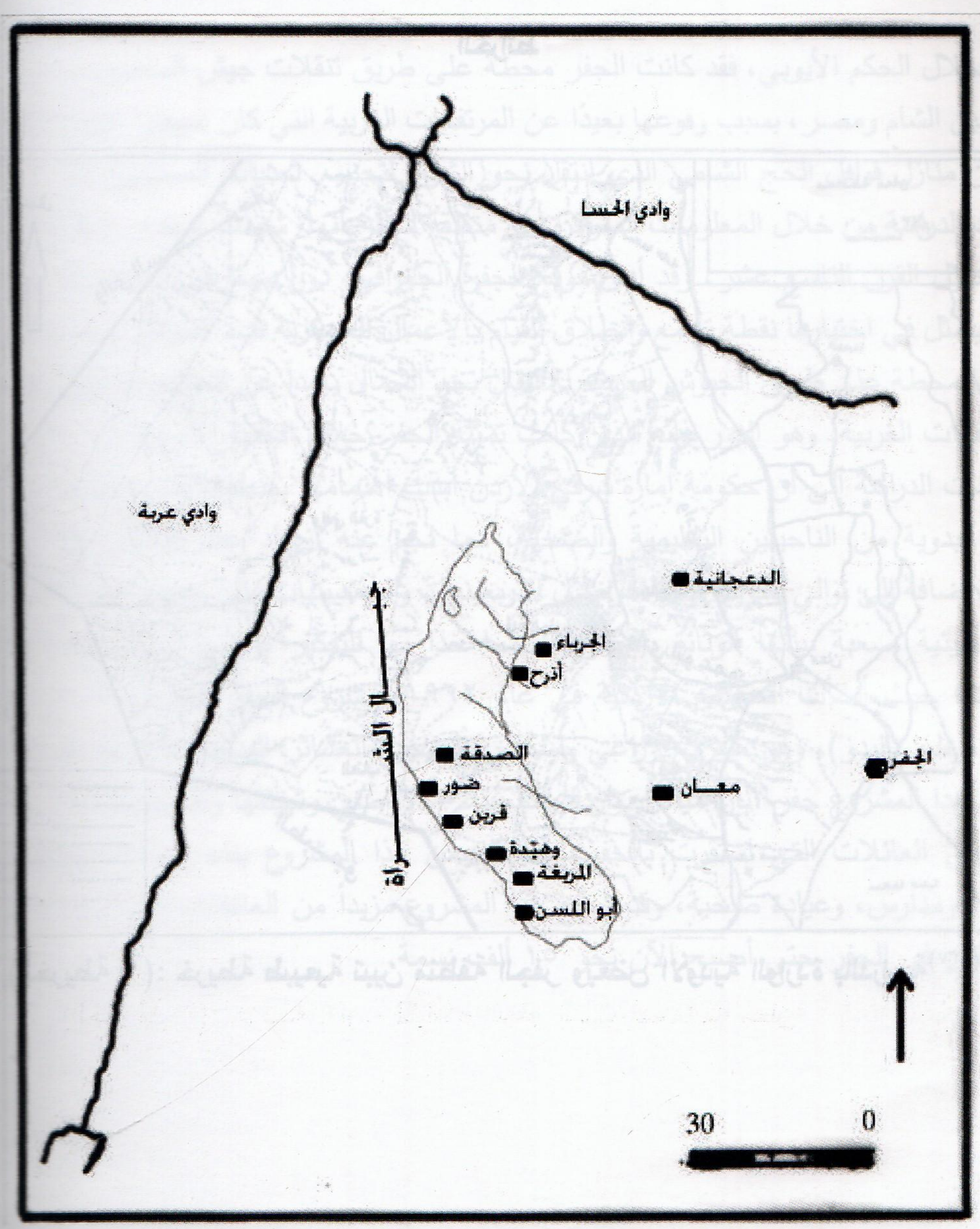
وخلصت الدراسة إلى أن حكومة إمارة شرقي الأردن أبدت اهتمامها بمنطقة الجفر مع بداية استقرار العشائر البدوية من الناحيتين التعليمية والصحية، مما نجم عنه ازدياد عدد السكان وقد أدى هذا الازدياد، إضافة إلى توالي سنوات الجفاف خلال الأربعينيات والخمسينيات، إلى مواجهة السكان لظروف معيشية وبيئية صعبة بينتها الوثائق الحكومية، مما حدا بها للتفكير بوضع الحلول المناسبة لهذه المشكلات؛ حيث أنشأت الحكومة الأردنية في عام ١٩٦٢م مشروع الجفر الزراعي أو ما يعرف بـ (مشروع توطين البدو)، وهو مشروع زراعي وإسكاني لتشجيع العشائر البدوية على الاستقرار الدائم، ويتضمن هذا المشروع حفر آبار مياه ارتوازية واستصلاح الأراضي وتهيئتها وتقسيمها لوحدات زراعية وُزعت على العائلات التي استقرت بالجفر، كما تضمن هذا المشروع بناء وحدات سكنية لبعض العائلات، ومدارس، وعيادة صحية، وقد شجّع هذا المشروع مزيداً من العائلات على الاستقرار، وزاد عدد السكان في الجفر حتى أصبح الآن نحو ١٥ ألف نسمة.

الخرائط



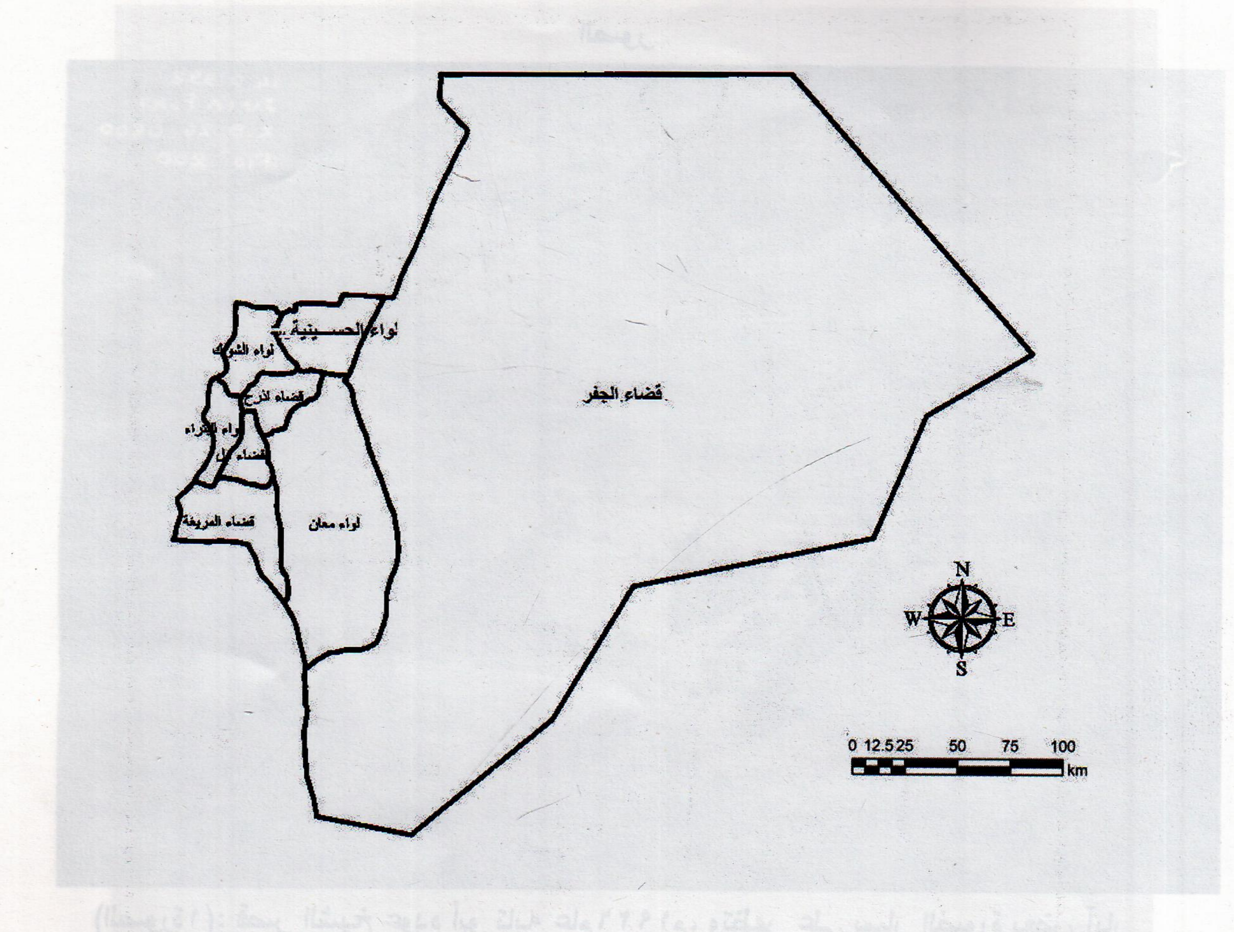
(الخريطة ١): خريطة طبيعية تبين منطقة الجفر وبعض الأودية الواردة بالدراسة(١٣٧).

(١٣٧) سلطان المعاني، جمعة كريم، دراسة نقوش عربية شمالية قديمة من وادي الخشابية في البادية الأردنية الجنوبية– الشرقية (منطقة الجفر)، مؤتة للبحوث والدراسات، مجلد: ١٥، عدد: ٥، ٢٠٠٠م، ص٢٥٨.



(الخريطة ٢): خريطة لجبال الشراة وبعض عيون المياه الواردة في الدراسة(١٣٨)

(138) Fiema, Zbigniew, Economics, Administration and Demography of Late Roman and Byzantine Southern Transjordan Unpublished Doctoral Dissertation, The University of Utah, USA, 1991, p. 277.

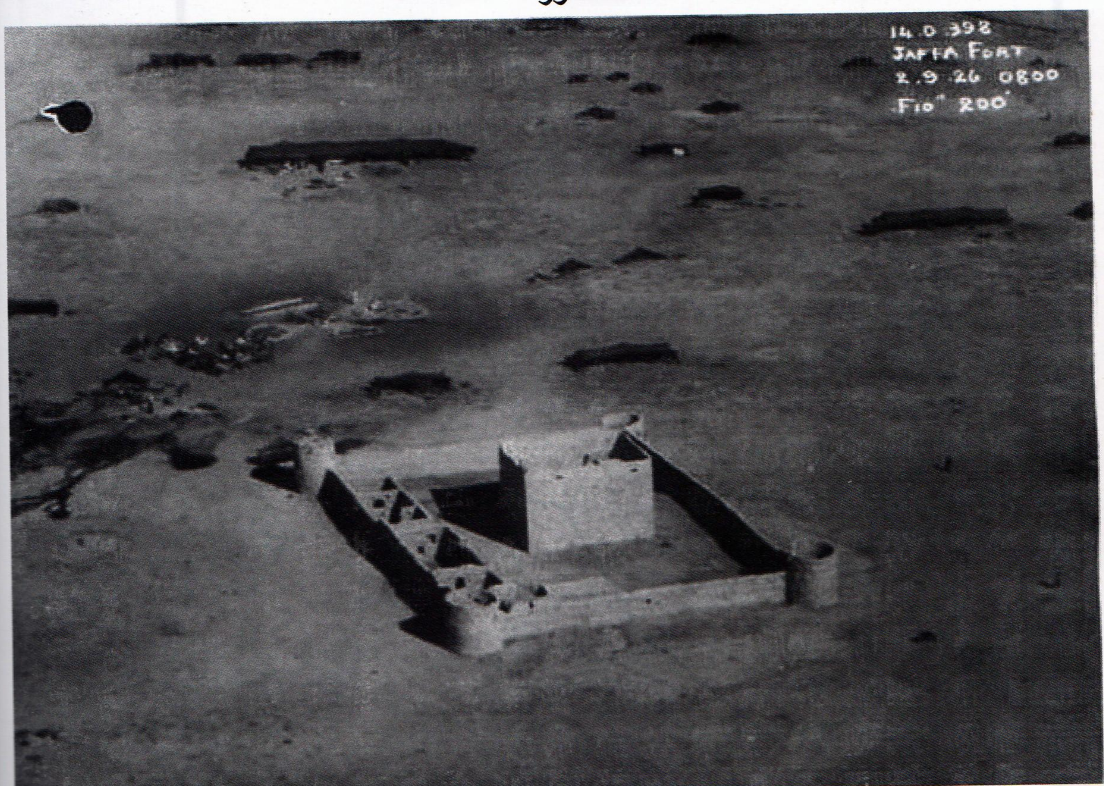


(الخريطة ٣): خريطة إدارية لقضاء الجفر التابع لمحافظة معان[١٣٩].

---

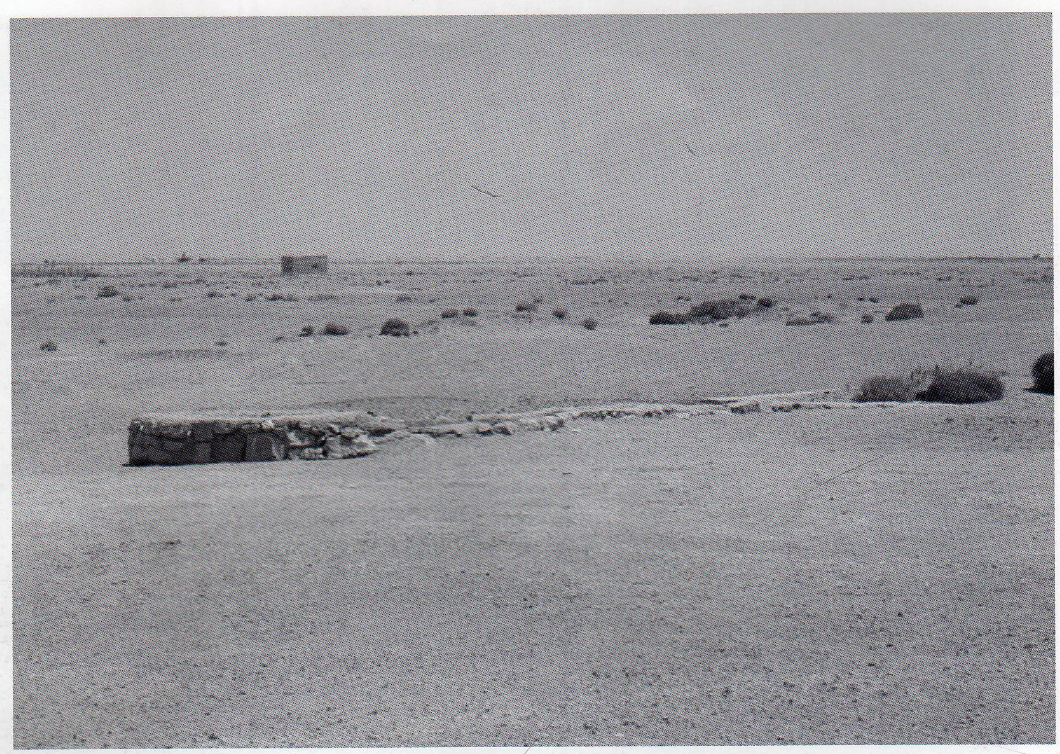
(١٣٩) عبد الحميد الفناطسة، **الخدمات التعليمية في محافظة معان**، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٢٧٠.

الصور



(الصورة١): قصر الشيخ عوده أبو تايه عام١٩٢٦م، وتظهر على يسار الصورة بعض آبار الجفر (١٤٠)

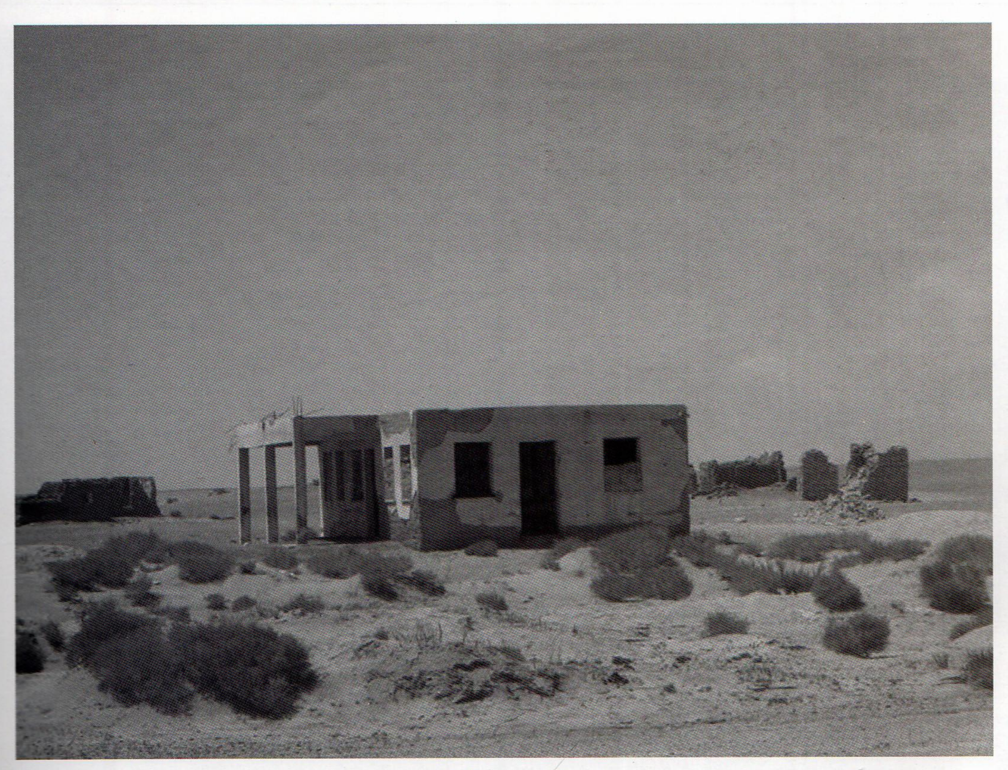
(140).http://www.apaame.org



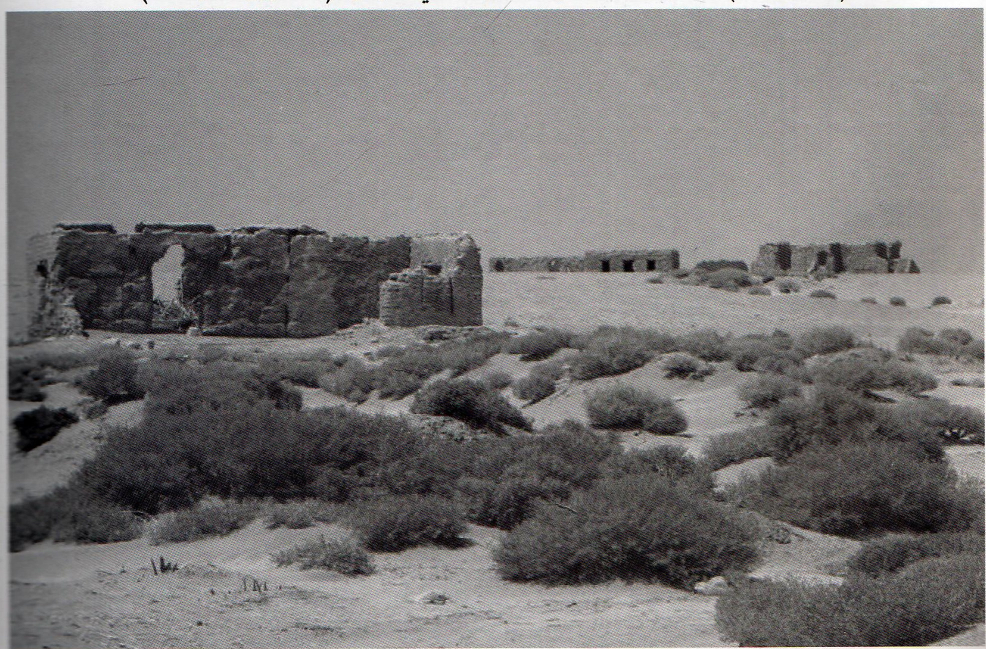
(الصورة ٢): إحدى آبار الجفر القديمة (تصوير: الباحث)



(الصورة ٣): مدرسة الجفر القديمة (تصوير: الباحث)



(الصورة ٤): العيادة الصحية القديمة في الجفر (تصوير: الباحث)



(الصورة ٥): نماذج للبيوت الطينية في الجفر(تصوير: الباحث)